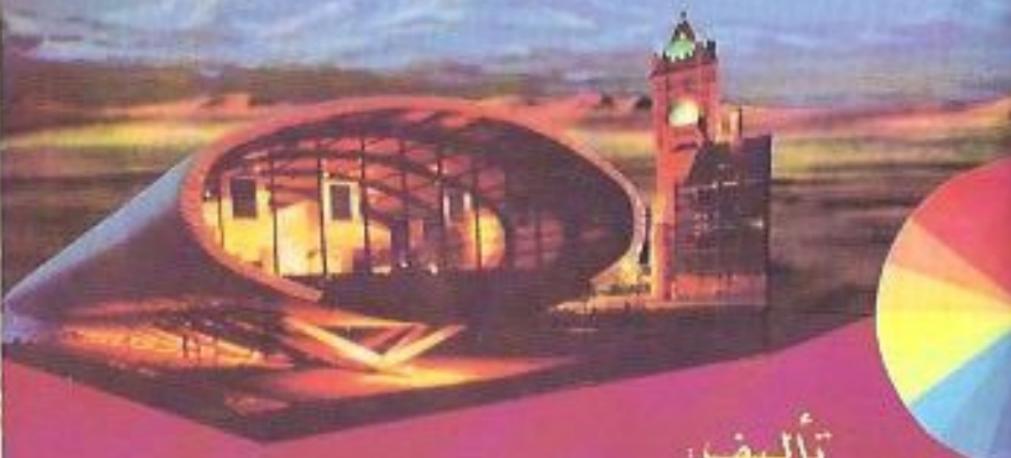


# فَاعْبُرْ وَهِيَ الْأُوْلَى لِلْأَصْحَارِ

مشاهداتي في بريطانيا



تأليف:  
ولئنْ عَبَرْتُ لِلْخَاطِرِ  
رحمه الله تعالى

المُسْنَدُ إِلَى إِسْلَامِي

## روابط مفيدة

<u>مكتبة المفكرة الدعوية</u>
<u>موسوعة الدورات والتدريب</u>
<u>مكتبة المشكاة</u>
<u>العمل المؤسسي والمنظمات الخيرية وغير الحكومية</u>
<u>مكتبة الثقافة الإسلامية</u>
<u>مكتبة صيد القوائد</u>
<u>موسوعة المسابقات الثقافية</u>
<u>المكتبة العربية والإسلامية</u>
<u>المكتبة الوقفية</u>

## مقدمة

الحمد لله الذي فضل الإنسان بالعقل وجعله ساميًّا  
بروحه والصلوة والسلام على رسوله وخير خلقه محمد بن  
عبد الله والله وصحبه . أما بعد .

فإن التجربة الإنسانية هي واحدة من مصادر المعرفة  
والعلم البشري ، إذا كانت منضبطة بمعايير صحيحة ،  
تنضبط فيها المقدمات فتسلم النتائج .

والتجربة البشرية لا تقوم بالحالات الفردية ولا بالإشعارات  
والروايات وإن تكاثرت ، وإنما تقوم بالظواهر المتتابعة وإن  
تخلفت في أحيان نادرة ، ولذا وجه القرآن الكريم إلى الاعتبار  
والأدلة بما وقع للأمم والشعوب الغابرة ، وأمر بالتفكير في  
أحوالهم وأنماط حياتهم ومصائرهم في أكثر من موضع ، كقوله  
تعالى في سورة الحج الآيتان ٤٥ ، ٤٦ : **﴿فَكَيْنُونَ مِنْ قَرْيَةٍ**  
**أَهْلَكَنَا هَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَّةٌ عَلَى عَرْوَشَهَا وَبَثَرَ مَعْطَلَةً**  
**وَقَصْرَ مَشِيدَ﴾** أفلم يسرون في الأرض فتكون لهم قلوب  
يعقلوب بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمي الأبصار ولكن  
تعمي القلوب التي في الصدور .

وإذا كنا نتحدث عن حياة أقوام آخرين في جوانب معينة

أن توجد فيها حالات كتلك الحالات التي توجد عند الغرب.  
وماذاك إلا لأنها لا تمثل الإسلام التمثيل الصحيح في الأقوال  
والأفعال والأحكام والعلائق، وإنما فيها من الخلل والانحراف  
بقدر بعدها عن الكتاب والسنة.

لذا نقدم هذا الكتاب للدكتور عبدالله الخطاطر - رحمه الله -  
والذى كان مقالات متفرقة كتبها في مجلة البيان حول  
«مشاهدات في بريطانيا» وهي كما قلت نتاج لها دلالتها  
ومؤشرات لها واقعها تؤخذ في حدودها، لعلنا جيئاً -  
وخصوصاً أولئك المعجبين بالغرب من المستغربين  
والعلمانيين - أن نستدرك حالتنا وواقع أمتنا بانتشالها مما هي فيه  
من تشرد وضياع وفقدان للذات، أودى بها وجعلها  
مستخذية أمام أعدائها متذكرين قول الله تعالى : «(وَإِن تَوْلُوا  
يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)».

أسأل الله أن ينفع بها، وأن يكتب الثواب لكتابها، ويحسن  
قصدنا ويجزل أجراً إنما سميع مجيب.

كتبه

الدكتور عبدالرازق محمود ياسين الحمد  
١٤١٢/١١/٢١

فيجب ألا نغفل جوانب إيجابية أخرى، ولكن المقياس يكون  
بأولوية تلك الجوانب وأهميتها في حياة البشر، فما كان يتعلق  
منها بالروح وسموها والعقل ونضوجه كان الصدق بحياة البشر،  
وما كان يتعلق بالشهوات والمتاع كان تاليًا لغيره وتابعًا له .  
والحديث عن الغرب وحياتهم يطول، ولقد ظهرت  
صريحات من الغربيين في أكثر من مكان وفي أكثر من زمان،  
تنذر بالخطر وتهدد بالسقوط لهذه الحضارة المادية التي فقدت  
القدرة على التعامل مع روح وكرامة الإنسان وعقله المدرك  
لغايته ورسالته ودوره في الحياة، وليس العقل المبدع في فهم  
الآيات (واليكانيكيات الفيزيائية والكميائية والإلكترونية  
وغيرها) (والاكتشافات) فقط .

ونحن في نفس الوقت ندرك تماماً أن هذه التجارب  
ودراستها ومحاولة الاستفادة منها والاعتزاز بها إنما هو للنهوض  
بهذه الأمة التي تحلفت عن رسالتها، وتعيش اليوم بعيدة عن  
دينه نصرةً وسلوكاً في الحياة، لذا فنحن نزن تجارب الغرب  
بالقرآن والسنة وحياة القرون الخيرة الأولى، وليس الواقع  
المجتمعات المسلمة اليوم، وذلك لأنها تبعد عن أن تكون  
نموذجاً إسلامياً يخلو من التناقضات والانحراف، ولا يستبعد

## **مقدمة**

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده ،

أما بعد :

فإن هذه الرسالة الصغيرة الحجم القيمة الفائدة عبارة عن مقالات للدكتور: عبدالله بن مبارك الخاطر - رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته - قام بكتابتها على شكل مقالات في مجلة البيان الإسلامية، الصادرة عن المنتدى الإسلامي في بريطانيا .

نُسَأَلُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا قَارِئُهَا، وَيَأْجُرْ كَاتِبَهَا  
وَيَبْارِكَ فِي كُلِّ مَنْ ساهمَ فِيهَا. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى  
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

الناشر

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى  
وبعده .

لقد عشت في لندن حوالي ثلاثة سنين ، كنت خالها  
أتابع دراستي في الطب النفسي ، وكان لي نشاط إسلامي في  
مسجد من مساجدتها ، مسجد بيكم ( Peckham ) وكان هذا  
المسجد يضم نخبة خيرة من الشباب من مختلف البلدان  
العربية . وقد شاهدت في العاصمة البريطانية أموراً تستحق  
أن يكتب عنها .

وسوف أعرض ما شاهدته على شكل حلقات متونياً في  
عرضي البساطة والعبرة . والله والموفق .

## خريج كامبردج

كنت مضطراً في البداية إلى دراسة اللغة الإنجليزية - رغم أنني كنت قد درست الطب باللغة الإنجليزية - من أجل اختبار (الزمالة) ذلك لأن الإنجليز يريدون من الجميع أن يكتبوا ويقرءوا كما يكتب المواطن الإنجليزي ويقرأ، ولما كنت أعمل في المستشفى في الصباح، فليس أمامي إلا أن أطلب مدرساً يعلمني فن كتابة المقالات ، والعادة المتبعه عندهم إنك إذا أردت شيئاً ما فما عليك إلا أن تعلن إعلاناً صغيراً على واجهة محل تجاري ، أو على لوحة إعلانات لإحدى الكليات ، ويأتيك الجواب سريعاً عن طريق الهاتف. جاءني مدرس إنجليزي متخرج من جامعة كامبردج في الأدب الإنجليزي ، وأخذ يدرسي مرتين في الأسبوع ، وبعد أن تردد على بيتي خمس مرات سألني على استحياء فقال : إن زميلاتي يسألنني كيف ترددت على بيت صاحبك خمس مرات ولم يقدم إليك زوجته لتعرف عليها . وكان سؤاله نقطة بداية في الحديث عن أمور أخرى غير الدراسة ، وكانت أنتظر مثل هذه الفرصة لأنني أعرف أن الإنجليز لا يحبون أن تبادرهم بالحديث عن أمور لم

الإسلام، ولا يعرف خريج جامعة كامبردج [!!] أن هناك كتاباً اسمه القرآن الكريم، ولا نبياً اسمه محمد ﷺ .. وكان الرجل يتحدث أمامي وكأنه طفل صغير، ومعذرة من الأطفال في بلادنا فهم أكثر منه علمًا بدين الله. قلت: لا أدرى من المسؤول عن كونك لا تعرف عن الإسلام شيئاً! هل هي جامعتكم ومناهجكم، أم أنت الذي ارتكبته لنفسك هذه الحال؟. كيف لا يدرسونكم دينًا يدين به ألف مليون من البشر في مختلف بلدان العالم؛ ولبلدكم علاقات تاريخية ومصالح مع بلدان العالم الإسلامي؟ وقبل أن يغادر الأستاذ [!!] منزله قدمت له مجموعة من الكتب عن الإسلام.. ثم اتصل بي فيما بعد وأخبرني بأنه قد قرأ هذه الكتب وسوف يقرأ كتاباً آخر عن الإسلام.

قارئي الكريم: كم ثمنت أن يكون عندي متسع من الوقت لأنتابع مثل هذا الرجل، ولكن ماذا أفعل وأنا مرتبط بعمل شاق يستغرق معظم وقتي؛ ونشاطي في الدعوة الإسلامية أقدم فيه الأهم على المهم. ولكن هل يعرف [البيغواط] في دول العالم الثالث حقيقة الغربيين؟!. لو كان خريج جامعة كمبردج مهندساً أو طبيباً لاتتسنا

يسألو عنها، وعليك أن تتهز الفرصة فتجيبهم عن تساؤلاتهم إذا سألوا.

قلت له ما موجزه: إن ديننا يأمرنا بحفظ المرأة وسترها، ولا يجوز أن تختلط أو تجالس غير محارمها.. ثم سألته عن الاختلاط والخلوة ولو كانت بين رجال ونساء متزوجين، ألا يكون هناك مجال للخيانة الزوجية ولو بنسبة ٥٪؟ فأجاب: نعم بل وأكثر من هذه النسبة. فسألته مرة أخرى: أليست هذه العلاقات غير المشروعة من أهم أسباب الفساد وتفكك المجتمع؟!. قال: بل.

قلت ما خلاصته: هذه حكمة واحدة من أحكام ديننا الذي يأمرنا بحرمة الاختلاط.. ومن ثم فللمرأة مكرمة عندنا، ولها حقوق كثيرة سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أمّا، فولي أمرها ينفق عليها ويعمل من أجل سعادتها، وبين الأسرة في ديننا من المحبة والتعاون والتكافل ما لا يتصوره مجتمعكم. قال: هذا جميل ومنطقي .. وقد لمست الصدق فيها يقول.

وعدد أسأله: ماذا تعرف عن الإسلام؟!. فأجاب: خميني وقدافي !! .. فظننته يمزح، ولكن تبين لي أن هذا كل ما يعرفه عن

العذر له؛ ولكنه تخرج من كلية تدرس علوم اللغة الإنجليزية وأدابها، ويفترض أن يُدرّس شيئاً يسيراً عن الإسلام..  
أما الذين يكثرون في مؤلفاتهم الأدبية والتاريخية من الاستدلال بأقوال المستشرقين فلينظروا ماذا يدرس المستشرقون مثل هذا الخريج عن الإسلام.  
اللهم إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور.

قارئي الكريم: قلت لك منذ البداية إنني طبيب في الأمراض النفسية، وهذا العمل يتتيح لي مشاهدة الوجه الآخر لمجتمعاتنا، والاتصال بأصناف متعددة من الناس رجالاً كانوا أو نساءً، ومن طبيعة الذين يعملون في مثل هذه الاختصاصات الاهتمام بمشكلات الناس، وقد يسير أحدهم في الشارع فتلتقط انتباهه أمور لا يهتم بها المارة. وكم أتمنى أن يهتم العلماء الدعاة بمثل هذه القضايا و يقدموا لها الحلول الساجدة، وسيكون دورهم أهم من دور الأطباء ورجال الأمن، لأن مخالفة تعاليم الإسلام من أهم العوامل التي أدت إلى نشوء مثل هذه الأمراض.

وقد حرصت على ذكر هذه المقدمة حتى لا يستغرب القاريء ما ذكره له من أحداث، وبشكل أخص زيارة النساء لنا في العيادة، والاستماع إلى مشكلاتهن، ولا علاج بدون الاستماع إلى هذه المشكلات ومناقشتها.

وبعد هذه المقدمة أعود إلى الحديث عن المرأة الغربية والزواج فأقول:

واحداً من أمثلة كثيرة تبين وضع المرأة عندهم . رأيت في عيادة الأمراض النفسية إمرأة في العشرينات من عمرها ، وكانت حالتها النفسية منهارة ، وبعد حين من الزمن شعرت بشيء من التحسن ، وأصبحت تتحدث عن وعي ، فسألتها عن حياتها فأجابت ، والدموع تنهمر من عينيها ، قالت : مشكلتي الوحيدة أنني أعيش بقلق واضطراب ، ولا أدرى متى سيفصل عني صديقي ، ولا أستطيع مطالبته بالزواج مني ، لأنني أخشى من موقف يتخذه ، ونصحت بالعمل على إنجاب طفل منه ، لعل هذا الطفل يرغبه في الزواج ،وها أنت ترى الطفل ، كما أنك تراني لا ينقصني جمال ، ومع هذا وذاك فأبذل كل السبل ؛ من تقديم خدمات ، وإنفاق مال ، ولم أنجح في إقناعه بالزواج ، وهذا سر مرضي ، وسبب قهرى . إنني أشعر بأنني وحدي في هذا المجتمع ، فليس لي زوج يساعدني على أعباء الحياة ، ولني أهل ولكن وجودهم وعدمهم سواء ، ولتي بيقيت بدون طفل لأنني لا أريد أن يتذنب ويشقى في هذه الحياة كما تذنبت وشقيت . وهذه المرأة المريضة ليست من شواد المجتمع الغربي ، بل الشواد هم الذين يعيشون حياة هادئة . . ومع ذلك ينقد

كنت أستغرب عند بداية إقامتي في بريطانيا أن المرأة هي التي تتفق على الرجل ، وكانت أشاهد هذه الظاهرة عندما أركب القطار ، أو أدخل المطعم ، إذ ليس في قاموس الغربيين شيء اسمه [كرم] .

وبعد حين زال هذا الاستغراب ، وأخبرني المرضى عن أسباب هذه الظاهرة ، وفهمت منهم أن الرجل لا يحب الارتباط بعقد زواج ، ويفضل ما أسموه [صديقه] والمرأة تسميه [صديقاً] وليس هو أو هي من الصدق في شيء ، وكم أساءوا لهذه الكلمة النبيلة ، فالصديق يعني : الصدق ، والمحبة والمرءوبة والنخوة والكرم والوفاء ، وما إلى ذلك من معان طيبة كريمة .

والصديق عندهم يعيش مع إمرأة شهوراً أو سنين ، ولا ينفق عليها ، بل هي التي تتفق عليه في معظم الحالات ، وقد يغادر البيت متى شاء ، أو قد يتطلب منها مغادرة بيته ، إن كانت تعيش معه في بيته ، وهذا فالمرأة عندهم تعيش في قلق وخوف شديدين ، وتخشى أن يرتبط صديقها [!!] بأمرأة ثانية ويطردها ، ثم لا تجد صديقاً آخر .

وكما يقولون (بالمثل يتضح المقال) فلسوف أختار مثالاً

تقليد الغربيين في كل أمر من أمور حياته، ولا تزال في بلدان العالم الإسلامي صحف ومجلات تتحدث بإعجاب عن لباس المرأة الغربية، وعمل المرأة الغربية، والأزياء الغربية، والحرية التي تعيش في ظلّها المرأة الغربية!

اللهم لك الحمد أن أنعمت علينا بنعمة الإسلام . قال تعالى: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلْ لَا تَمْنُونَ عَلَى إِسْلَامِكُمْ بَلَّ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات آية ١٧].

لهم الطعام واللباس، كما علمت مدى احترام المسلمين للمرأة سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أمّاً، ويشكل شخص عندما يتقدم سنهما، حيث يتتسابق ويتنافس أولادها وأبناء أولادها في خدمتها وتقديرها.. ومن أعرض عن خدمة والديه وتقديرهما العون لها كان منبوداً عند الناس.

كانت المرأة المسنة تلاحظ عن كثب تفاصيل العائلة المسلمة: كيف يعامل الوالد أبناءه، وكيف يلتغون حوله إذا دخل البيت، وكيف تتغافل المرأة في خدمة زوجها.. وكانت المسكينة تقارن ما هي عليه وما نحن عليه.. كانت تذكر أن لها أولاً وأحفاداً لا تعرف أين هم، ولا يزورها منهم أحد، قد تموت وتتدفن أو تحرق وهم لا يعلمون، ولا قيمة لهذا الأمر عندهم، أما متزحها فهو حصيلة عملها وكذها طوال عمرها.. وكانت تذكر لزوجتي الصعوبات التي تواجه المرأة الغربية في العمل، وابتياع حاجيات المنزل، ثم أنهت حديثها قائلة: إن المرأة في بلادكم (ملكة) ولو لا أن الوقت متاخر جداً لتزوجت رجلاً مثل زوجك، ولعشت كما تعيشون.

ومثل هذه الظاهرة يدركها كل من يدرس أو يعمل في ديار الغرب، ومع ذلك فلا يزال في بلادنا من لا ينجذل من

## فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥ .....	● مقدمة
٩ .....	● مقدمة الناشر
١٣ .....	● خريج كامبردج
١٧ .....	● المرأة الغربية والزواج
٢١ .....	● إنها ملكرة
٢٤ .....	● عندما تصطدم المرأة مع فطرتها